وقفات تأملية في سورة القارعة

إعداد

الدكتور
طه إبراهيم شبيب الفهداوي
تدريسي
جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم الإنسانية

الدكتور
قيس جليل كريم الخفاجي
تدريسي
جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم الإنسانية

ed.taha.ibrahim@uoanbar.edu.iq

issn : 2071- 6028

ملخص باللغتين العربية والإنكليزية

تناول البحث أسرار البيان القرآني في سورة مهمة من سور القرآن الكريم ألا وهي سورة القارعة، التي تناولت موضوع القيامة وما يرافقها من أهوال، وما امتازت به هذه السورة من قصر الآيات وتنوع الفواصل، والكثير من الأساليب البلاغية كالتشبيه المرسل المجمل، والمقابلة، والاحتباك والاستعارة وغيرها من الأساليب، وما تضمنته من الإشارة إلى بعض أمارات الساعة من نسف الجبال وجعلها كالصوف المنفوش، وإثبات الجزاء على الأعمال وأن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله تعالى في نعيم، وأن أهل الأعمال السيئة في جحيم، ونصب الموازين للحساب، واختتامها بالتهديد برؤية الجحيم يقينا.

الكلمات المفتاحية : وقفات ، تأملية ، سورة

Research Summary

The research secrets statement Quranic important Surah of the Holy Quran, namely Al-Qaria which addressed the issue of the resurrection and the accompanying horrors, and was characterized by this sura of the Palace of the verses and the variety of spacers, and a lot of styles rhetorical Kalchbah sender Overall, interview, and Ctbak and metaphor and other styles, and the content of the reference to some of the signs is the blowing up mountains and make wool carded, and prove the penalty on the business and the people of the good deeds considered when God in bliss, and that the people of bad business in hell, and set the scales of the account, and closing of the threat of a vision of hell for sure.

Keyword : Positions , reflective , surah

issn : 2071- 6028

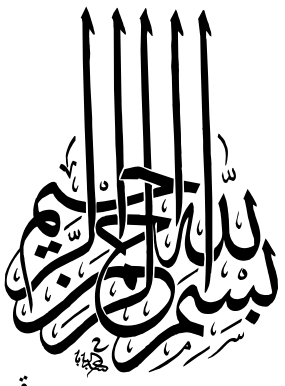

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فإن كتاب الله تعالى خير ما يتنافس فيه المتنافسون قراءة وتعلماً وتعليماً وتأليفاً، وإنه أفضل ما صُرفت إليه الهمم، وما أُفني فيه العمر، وأُعمل فيه الفكر، وأُشغل فيه اللسان في الذكر؛ لأنه ينبوع المعارف والعلوم المختلفة، وهو أساس المعرفة ومنشأها، فهو من أجل الطاعات، وأفضل القربات، كيف لا وكلما ازداد المرء فيه تلاوة ازداد طهارة، وكلما ازداد فيه تعمقاً ازداد تعلقاً ومعرفةً بالله تعالى، فهو الواحة الخضراء التي لا يغيضُ ماؤها، ولا يَجفُّ حرثها، بل تزداد نضارة وبهاءً كلما ازداد روادها .

فأردنا من خلال هذا البحث أن نحظى بشرف البحث في كتاب الله تعالى، ونقف على تفسير هذه السورة الكريمة وإبراز أهم أسرار البيان القرآني فيها مستئنسين بكتب التفسير وعلوم القرآن وغيرها.

ونظراً لأهمية السورة من حيث أنها تحدثت عن يوم القيامة والإخبار عن بعض أهوالها، وأن معظم مقصود السّورة بيان هيبة العَرَصات، وتأْثيرها في الجمادات والحيوانات، ولما فيها من التخويف العظيم، والوعيد الشديد باشتمالها مع قصرها على أحوال الآخرة وأهوالها وفظائعها وشدائدها، وبيان أحوال الهالكين والمعذبين، وذكر وَزن الحسنات والسّيئات، وشرح عيش أَهل الدرجات وبيان حال أَصحاب الدّركات، فمن هنا وقع اختيارنا على سورة القارعة للوقوف على أسرارها.

فإن كنا وفقنا في ذلك فهو مقصودنا، وإن كانت الأخرى فنستغفر الله تعالى منه ابتداء، وقد حاولنا جهدنا لفهم دلالات الألفاظ، وذلك من خلال الوقوف على الدلالة

اللغوية الأصلية التي تعطينا حس العربية في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، ثم محاولة إدراك الدلالة القرآنية باستقراء ما ورد في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله، وكذلك حاولنا الغوص في أسرار البيان القرآني للآيات الكريمات لنقطف من أزاهيرها، لنعرضه في بحثنا هذا، وقد قسمنا البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: خصصناه للحديث عن السورة الكريمة من حيث تسميتها، وعدد آيها وكلماتها وحروفها، ومكية السورة، ومناسباتها، وموضوع السورة، وخصائصها من الناحية البيانية.

أما **المبحث الثاني** فقد خصصناه للحديث عن دلالات الألفاظ، وأسرار البيان القرآني في السورة الكريمة.

هذا ولا ندعي أنا قد بلغنا الكمال في بحثنا هذا ولكن حسبنا أنا اجتهدنا، وهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فهو بتوفيق الله تعالى وحده، وما كان فيه من تقصير فقد ساقه العجز إلينا والله تعالى بريء منه ورسوله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقفات تأملية في سورة القارعة

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ١-١١]

المبحث الأول:

بين يدي تفسله السورة الكريمة

أولاً: تسميتها

تعرف هذه السورة بالقارعة في المصاحف؛ لأن فيها إثبات وقوع البعث وما يسبقُ ذلك من الأهوال، وافتتاحها بلفظ القارعة افتتاح مهول؛ لأن فيه تشويق إلى معرفة ما سيخبرُ به(١)، قال ابن عباس: القارعة يوم القيامة(٢)، واتفقت المصاحف وكتب التفسير والسنة على تسميتها، ولم يذكر لها المفسرون أسماء أخرى غير هذا الاسم، وكذلك لم يرو عن الصحابة والتابعين في تسميتها شيء بغير هذا الاسم(٣)، وكذا عنونها الإمام البخاري في صحيحه(٤)، وقال جمهور المفسرين: (على أن هذه الحادثة هي الحشر فجعلوا القارعة ما أسماء يوم الحشر مثل القيامة)(٥).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٠٩/٣٠.

(٢) ينظر: النكت في القرآن الكريم: ١٠٠ ، والإتقان في علوم القرآن: ٥٥/٢.

(٣) ينظر: المفصل في موضوعات سور القرآن: ١٥٧١.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة القارعة: ١٨٩٨/٤.

(٥) التحرير والتنوير: ٥١٠/٣٠، وينظر: المفصل في موضوعات سور القرآن: ١٥٧١.

قال صاحب حدائق الروح: (سميت بالقارعة لأن القارعة هي الصيحة التي يموت منها الخلائق وهي الصيحة الأولى التي تموت منها الخلائق سوى إسرافيل)[١].

ثانياً: وضع السورة في المصحف

عدت هذه السورة الثلاثين في عداد نزول السور، حيث نزلت بعد سورة قريش وقبل سورة القيامة على ما ذكر الزمخشري[٢].

أما ورودها في المصحف ففي الجزء الثلاثين من أجزاء القرآن الكريم، وبتسلسل الواحدة بعد المائة في تسلسل ترتيبها في القرآن الكريم، سبقتها سورة العاديات ولحقتها سورة التكاثر.

ثالثاً: عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها

وَهِي ثَمَانِي آيَات فِي عد البَصرِي والشامي وعشر في عد المدنِيين والمكي، وَإِحدَى عشرَة فِي عد الكُوفِي[٣]، واختلافها في ثَلاث آيَات ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ الأولى عدهَا الكُوفِي وَلم يعدها البَاقُونَ، و﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، و﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ لم يعدهما البَصْرِيّ والشامي وعدهما البَاقُونَ[٤]، وكلماتها ستّ وَثَلاثُونَ كلمة، وحروفها مئة وَاثنانِ وخَمسونَ حرفا[٥].

(١) حدائق الروح والريحان: ٢٦٧/٣١.

(٢) ينظر: تفسير الكشاف: ٧٩٦/٤، والمفصل في موضوعات سور القرآن: ١٥٧١.

(٣) ينظر: فنون الأفنان: ٣٢٥/١، وجمال القراء: ٣١٦/١ .

(٤) ينظر: البيان في عد أي القرآن للداني: ٢٨٥، وفنون الأفنان: ٣٢٥، وجمال القراء: ٣٢١/١، والفرائد الحسان: ٧٤.

(٥) تفسير الثعلبي: ٢٧٤/١٠.

رابعاً: مكية السورة

سورة القارعة مكية بإجماع أهل العلم(١)، ولا يعرف مخالف في ذلك، قال القرطبي: (وهي مكية بإجماع)(٢)، وقال السيوطي: أَخْرَج ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت سورة القارعة بمكة(٣).

خامساً: الناسخ والمنسوخ في السورة الكريمة

لا يوجد في هذه السورة الكريمة ناسخ ومنسوخ فكل آياتها محكمة، قال محمد بن حزم: (سورة القارعة: مكية وجميعها محكم)(٤). وسورة القارعة كلها محكم، ليس فيها ناسخ ومنسوخ(٥).

سادساً: موضوع السورة وما اشتملت عليه

تتمحور السورة حول موضوع مهم ألا وهو موضوع القيامة والإخبار عن بعض أهوالها، وجزاء السعداء والأشقياء، ثم ذكر في هذه السورة علة استحقاق النار وهو الانشغال بالدنيا عن الدين، واقتراف الآثام، وهددت بالمسؤولية في الآخرة عن أعمال الدنيا، واشتملت هذه السورة المكية أيضا على ذم العمل للدنيا فقط، والتحذير من ترك الاستعداد للآخرة، قال الفيروزآبادي: (معظم مقصود السّورة بيان هيبة العَرَصات، وتأْثيرها في الجمادات والحيوانات، ففيها من التخويف العظيم والوعيد الشديد باشتمالها مع قصرها على أحوال الآخرة وأهوالها وفظائعها وشدائدها وقلاقلها، وبيان أحوال الهالكين والمعذبين، وذكر وَزن الحسنات والسّيئات، وشرح

(١) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٢٣٩/٣، والنكت في القرآن الكريم: ١٠٠.
(٢) تفسير القرطبي: ١٦٤/٢٠.
(٣) الدر المنثور: ٦٠٨/١٥.
(٤) الناسخ والمنسوخ، لابن حزم: ٦٧.
(٥) ينظر: حدائق الروح والريحان: ٢٦٦/٣٢، وناسخ القرآن ومنسوخه للمقري: ٢٠٢، والبرهان في علوم القرآن: ٣٣/٢.

عيش أَهل الدرجات وبيان حال أَصحاب الدّركات)[١]، لذا من خلال النظر في هذه السورة يمكن أن نجمل ما تناولته هذه السورة الكريمة من مقاصد[٢]:

١- بيان إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال، وبيان هيبة العرصات وتأثيرها في الجمادات والحيوانات، ففصّلت الحديث عن أهوال القيامة، وبيان حال الناس فيها بقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾[٣].

٢- أشارت السورة إلى بعض أمارات الساعة، وهي نسف الجبال وجعلها كالصوف المندوف، مما يوجِد الذعر والهلع والتأثر الشديد في قلوب الناس بقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[٤].

٣- إثبات الجزاء على الأعمال، وأن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله تعالى في نعيم، وشرح عيش أهل الدرجات، وأهل الأعمال السيئة في قعر الجحيم، وبيان حال أهل الدركات، ونصب الموازين لوزن الحسنات والسيئات بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[٥].

٤- التهديد برؤية الجحيم يقينا، ومجابهة أهوال النار بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[٦].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٩/١.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥١٣/٨، والمفصل في موضوعات سور: ١٥٧٦.

(٣) سورة القارعة: الآيات ١-٤.

(٤) سورة القارعة: الآية ٥.

(٥) سورة القارعة: الآيات ٦-٩.

(٦) سورة القارعة: الآيتان ١٠-١١.

سابعاً: شرف السورة وفضلها

للسورة الكريمة شرف عظيم كونها من كلام الباري عز وجل، زيادة على ما اشتملت عليه من فضل الله لعباده، فقال الإمام الرازي: (ثم شرف أمته في سورة القارعة بأمور ثلاثة: أولها فمن ثقلت موازينه، وثانيها أنهم في عيشة راضية، وثالثها أنهم يرون أعداءهم في نار حامية)(١).

ولسورة القارعة فضل كبير، فمن قرأها ثقلت مَوَازِينه من فعل الخيرَات، قال الكرمانِي في فضل السورة: (يكون متحيرا فِي أَفعاله وعاقبته إلى صَلاح، وَقَالَ جَعْفَر الصَّادِق: يكون معززا مكرما عِند الخلق)(٢). وعن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ القارعة ثقّل الله سبحانه بها ميزانه يوم القيامة)(٣).

وأورد الفيروزآبادي فيها أثرا وحكم عليه بالوهن عن علي ﷺ، فقال: (يا علي مَن قرأَها فكأَنَّما ذَبَح أَلف بَدَنة بين الرّكن والمقام، وله بكلّ آية قرأَها ثوابُ المرابِطين، وبكلّ حرف درجة في الجنَّة، وكُتِب عند الله من الخاشعين)(٤).

وذكر السيوطي فيها حديثا بسنده لم يرتضه أكثر أهل العلم، فقال: أخرج ابن مردويه وابن عساكر من طريق يزيد الرقاشي عن أنس ﷺ قال: (قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله أسرع إليك الشيب؟ قال: أجل شيبتني هود وأخواتها: الواقعة، والقارعة، والحاقة، وإذا الشمس كورت، وسأل سائل)(٥)، فعدت سورة القارعة من أخوات سورة سورة هود.

---

(١) تفسير الرازي: ١١٢/٣٢.

(٢) الإشارات في علم العبارات: ٦٢٩.

(٣) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري: ١٢٨/١، وتفسير الثعلبي: ٢٧٤/١٠، وتفسير الواحدي: ٥٤٦/٤، وفضائل القرآن للمستغفري (ت ٤٣٢هـ): ٧٩١/٢، والكشاف: ٧٩٧/٤.

(٤) بصائر ذوي التمييز: ٥٣٩/١.

(٥) الدر المنثور: ٦/٨.

وهذا الحديث ضعفه أكثر أهل العلم، قال عنه البزار: (وهذا الحديث فيه علتان، إحداهما: أنَّ زائدة منكر الحديث، والعلة الأخرى: فقد رواه غير واحد عن زائدة عن زياد عن أنس: أن أبا بكر قال لِلنَّبِيِّ ﷺ: ...، فصار الخبر عن أنس، فلذلك لم نذكره)، وكأنه عنى بقوله: (لم نذكره) أي: في مسند أبي بكر(١).

وحكم الدارقطني عليه بالاضطراب فقال: هَذا مضطربٌ؛ فإنهُ لَم يُروَ إلاَّ من طريق أبي إسحاق(٢)، وذكره أيضاً في العلل بسبب الاختلاف على أبي إسحاق السبيعي(٣).

ثامناً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها والمناسبة بين آيها

يعرف علم المناسبات بأنه: بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة(٤)، فمعرفة المناسبة بين الآيات تساعد على حسن التأويل، ودقة الفهم، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات، وترابط أفكارها، وتلاؤم ألفاظها، وقد اهتم علماء التفسير بإبراز المناسبات بين السور لما لها من أثر في فهم المعنى والترجيح بين الآراء ومعرفة المقاصد العامة للآيات والسور، وغير ذلك من الفوائد، ولما كانت سورة العاديات سابقة لها في الترتيب في المصحف فهي ترتبط فيها ارتباطا وثيقا، وقد بيّن العلماء العلاقة بين السورتين:

(١) ينظر: مسند البزار: ١٦٤/١.

(٢) ينظر: شرح نخبة الفكر: ١٧/٨، والنكت الوفية بما في شرح الألفية: ٥٣٢/١.

(٣) ينظر: العلل: ١/ ١٩٤. ولم نقف على حديث صحيح في فضل هذه السورة.

(٤) ينظر: المناسبات بين الآيات والسور: ١٢.

ذكر البقاعي: أنه لما ختم الله تعالى العاديات بالبعث بقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[١]، ذكر صيحته فقال: ﴿الْقَارِعَةُ﴾، أي الصيحة أو القيامة، سميت بها لأنها تقرع أسماع الناس وتدقها دقاً شديداً عظيماً مزعجاً بلا فزع، والأجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار، والأشياء الثابتة بالانتثار[٢].

ولما كانت تفوق الوصف في عظم شأنها وجليل سلطانها، عبر عن ذلك وزاده عظماً بالإبهام والإظهار في موضع الإضمار مشيراً بالاستفهام إلى أنها مما يستحق السؤال عنه على وجه التعجيب والاستعظام فقال: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾، وأكد تعظيمها إعلاماً بأنه مهما خطر ببالك من عظمها فهي أعظم منه فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾، أي وأيّ شيء أعلمك وإن بالغت في التعرف، وأظهر موضع الإضمار لذلك فقال: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾، أي أنك لا تعرفها لأنك لم تعهد مثله[٣].

وقال الرازي: (لما ختم السورة المتقدمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ فكأنه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل: هي القارعة)[٤].

وقال أبو حيان: (ومناسبتها لما قبلها ظاهرة؛ لأنه ذكر وقت بعثرت القبور، وذلك هو وقت الساعة)[٥].

(١) سورة العاديات: الآيتان ٩-١١.
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥١٣/٨.
(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥١٣/٨، وأسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ١٦٦.
(٤) تفسير الرازي: ٢٦٥/٣٢.
(٥) البحر المحيط: ٥٠٣/٨.

وكذلك فإن القارعة «القيامة» لا تقع إلا بعد قيام الحجة والبينة، وقد ظهرت هذه الحجة وقام البرهان على لسان الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، فمن اتبع النور الذى جاء به هذا الرسول الأمين فقد اهتدى، ومن تركه ضل وغوى، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾[١].

أما مناسبة السورة لما بعدها:

لما ذكر الله تعالى في هذه السورة «القارعة» القيامة وعظيم أهوالها، وحال الناس في الآخرة بين من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه، وما آل إليه من خفت موازينه أعقب بذكر ما شغل وصد الناس عن الاستعداد لها وألهى عن ذكرها وهو التكاثر بالعدد والقربات والأهلين فقال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[٢]، وهو في معرض التهديد والتقريع، وقد أعقب بما يعضد ذلك وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، ثم قال: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾[٤]، قال البقاعي: (ولما أثبت في القارعة أمر الساعة، وقسم الناس فيها إلى شقي وسعيد، وختم بالشقي، افتتح هذه السورة بعلة الشقاوة ومبدأ الحشر لينزجر السامع عن هذا السبب ليكون من القسم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكاً؛ لأنه ألهاكم أي أغفلكم إلا النادر منكم غفلة عظيمة عن الموت)[٥].

---

(١) سورة القارعة: الآيات ٦-٩.

(٢) سورة التكاثر: الآية ١.

(٣) سورة التكاثر: الآيتان ٣-٤.

(٤) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن: ٣٧٥/١.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦١٠/٨.

فسورة التكاثر واقعة موقع العلّة لخاتمة ما قبلها، كأنه لما قال تعالى هناك: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾، قيل: لِمَ ذلك؟ فقال جلّ وعلا: لأنكم أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ.

بقي أن نذكر مناسبة أول السورة لآخرها

فذكر النار الحامية مناسب للقارعة من ناحية أخرى، ذلك أن «القَرَّاعة» –وهي من لفظ القارعة– هي القداحة التي تقدح بها النار(١)، فناسب ذكر القارعة، ذكر الصوف المنفوش، وذكر النار الحامية، فناسب آخر السورة أولها، وبهذا نرى أن ذكر القارعة حسَّنَ ذكر «المبثوث» مع الفراش، وذكر «المنفوش» مع الصوف، وذكر النار الحامية في آخر السورة ناسب ذكر العهن المنفوش أيضاً، فقوله في آخر السورة: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾؛ لأن النار الحامية هي التي تُذيبُ الجبالَ، وتجعلها كالعهن المنفوش، وذلك من شدة الحرارة(٢).

تاسعاً: القراءات الموجودة في السورة الكريمة

- قرأ الجمهور: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ بالرفع، وقرأ عيسى بن عمر: «القارعةَ» بالنصب، على إضمار فعل بتقدير: أذكروا القارعة، وهي قراءة شاذة(٣).
- قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف بإمالة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾، والباقون بالفتح(٤).

(١) ينظر: لسان العرب ٢٦٩/٨ (مادة : قرع).

(٢) ينظر: لمسات بيانية:١٩٩/١.

(٣) ينظر: السبعة: ١٨٨، والمبسوط: ٤٧٦، والتيسير: ٢٢٥، والبحر المحيط: ٩٤/١١.

(٤) ينظر: التلخيص في القراءات الثمان: ٤٧٥، والنشر: ٢٩٢/١.

- قرأ الجمهور ﴿ يَوۡمَ﴾ بالنصب على الظرفية، وقرأ زيد بن علي بالرفع على أنه خبر لمبتدأ مقدر، تقديره أي: وقتها يوم يكون الناس(١).
- قرأ الجمهور بإظهار النون عند الخاء ﴿مَنۡ خَفَّتۡ﴾ لأن النون الساكنة والتنوين يظهران عند حروف الحلق، وهى ستة: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، عند كل واحدٍ من القراء، ولكن أخفاهما عند الغين والخاء أبو جعفر(٢).
- قرأ حمزة ويعقوب ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف(٣).
- قرأ الجمهور ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾، وقرأ ابن مسعود وابن جبير وابن شنبوذ «كالصوف»، وتحمل هذه القراءة على التفسير(٤).
- قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بإسكان الهاء من ﴿فَهُوَ﴾ والباقون بضمها(٥).

(١) ينظر: إعراب القراءات الشواذ: ٧٣٧/٢، والبحر المحيط: ٥٦٥/٨.

(٢) ينظر: النشر: ٢٧/٢.

(٣) ينظر: السبعة: ١٨٨، والمبسوط: ٤٧٦، والتيسير: ٢٢٥.

(٤) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: ١٦١، ومختصر ابن خالويه: ١٧٨، ومعاني القرآن للفراء: ٢٨٦/٣، والكشاف: ٧٩٦/٤.

(٥) ينظر: السبعة: ١٥١-١٥٢، والنشر: ٢٠٩/٢.

- قرأ الجمهور بضم الهمزة من ﴿فَأُمُّهُۥ﴾، وقرأ ابن مسعود والجحدري وطلحة بكسر الهمزة، وهي لغة في الاسم على ما ذكر ابن خالويه(١).
- قرأ أبو عمرو ويعقوب بإدغام الهاء في الهاء من قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ وهو من باب الإدغام الكبير، والباقون بإظهارها(٢).
- قرأ حمزة ويعقوب بحذف الهاء من ﴿مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ﴾ في الوصل وإثباتها في الوقف، وذكر العكبري قراءتها بالياء الساكنة مطلقا، وقال بأنها لغة(٣)، والباقون بإثباتها في الوقف والوصل(٤)، اتباعا لرسم المصحف، قال ابن مجاهد: قال علي بن نصر: سمعت أبا عمرو يقرأ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ يقف عندها(٥).

(١) ينظر: إعراب ثلاثين سورة : ١٦٣، والخصائص: ١٤١/٣، والبحر المحيط: ٥٠٧/٨.
(٢) ينظر: الكشف: ٢٣١/١، والتيسير: ٣٤، والنشر: ١٨٤/١.
(٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ١٣٠١/٢.
(٤) ينظر: السبعة: ٦٩٥، والكشف: ٣٠٧/١، والتيسير: ٢٢٥.
(٥) السبعة: ٦٩٥.

عاشراً: خصائص السورة من الناحية البيانية

من الظواهر البيانية العامة في هذه السورة المباركة ما يأتي:

الأول: قُصر الآيات:

وهذا القصر ملحوظ فيه القوة والجزم، بما يلقى في نفس السامع من جدية الموقف الحاسم وخطره، بحيث لا يحتمل الإطالة والتأني[١]، وهذا ما يناسب حال أهل مكة، وهذه صفة عامة لقصار السور، وفي ذلك يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: (إذا كانت آيات القرآن الكريم مكية أي: نزلت قبل الهجرة، فإنها تكون قصيرة غالباً وسريعة الإيقاع، ونلاحظ من قراءة النصوص المكية أن سرعة الإيقاع أساس بنائها، فإذا قرأناها ووقفنا على رؤوس الآي فيها تسارعت الأنفاس وتساعفت الجمل القرآنية في أدائها لومضات الوحي ومعانيه، فهي كلمتان أو ثلاث ليتم المعنى، ونقف على رأس الآية، ثم نبدأ معنى جديداً في آية جديدة، وإيقاع سريع أيضاً)[٢]، وهذا القصر في آيات سورة القارعة يلحظه القارئ الكريم جلياً.

الثاني: التكرار:

التكرار لغة: الإعادة[٣]، وفى الاصطلاح: الإتيان بشيء مرة بعد مرة[٤]، أو إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول لطول العهد به، فإن أُعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه[٥].

(١) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ٧٩.
(٢) ينظر: حديث عن القرآن: ١٣٥.
(٣) ينظر: لسان العرب: ١٣٥/٥ (مادة: كرر).
(٤) ينظر: التوقيف لمهمات التعاريف: ١٠٧/١.
(٥) البرهان في علوم القرآن: ٨١٠/٣.

والتكرار مألوف في مواقف الإطناب والإطالة، لكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة، يكون لافتاً ومثيراً في مقام التهويل، ففي سورة القارعة على إيجازها وقصر آياتها، نجد التكرار في أربعة مواضع(١)، وهذه ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقصر ترسيخاً للمعنى وتقريراً وإقناعاً، وهذا التكرار أعطى معنى مهماً ألا وهو معنى التعظيم، إلا أن مثل هذا الأسلوب هو أقوى أساليب الترسيخ والإقناع، وأشدها إيحاء بالتفخيم والتعظيم(٢).

ثم كرر ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ وهذا أسلوب يراد به تهويل أمرها كأنها لشدة ما يكون فيها من الأهوال التي تفزع منها النفوس، وتدهش لها العقول، يصعب تصوّرها، ويتعذر إدراك حقيقتها، ثم زاد أمرها تعظيما فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، أي: وأي شيء يعرّفك بها، كأنه لا شيء يحيط بها، فمهما تخيلت أمرها وحدست شأنها فهي أعظم من تقديرك(٣).

(١) يمكن ملاحظة التكرار في هذه السورة في مواضع وهي: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾.

(٢) ينظر: النكت في القرآن في القرآن الكريم: ٥١٣/١، وتفسير الواحدي: ١٢٧٧/١، والبرهان في تناسب سور القرآن: ٣٧٤، والتفسير البياني للقرآن الكريم: ٧٩/١.

(٣) ينظر: تفسير المراغي: ٢٢٥/٣٠.

الثالث: تنوع الفواصل:

يطلق العلماء اسم الفواصل على الحروف الأواخر من السورة القرآنية[١]، وهو أسلوب بلاغي مهم، فالانسجام في خواتيم آيات السورة الكريمة واضح، بحيث تنسجم رؤوس الآيات حتى وإن لم تتطابق، وقد فرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي، فقال: (أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آي وغيرها وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية)[٢]، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين.

وقد تنوعت فواصل سورة القارعة وانحصرت في أربع فواصل هي: «الشين والثاء والهاء»، قال الفيروزابادي عن فواصل هذه السورة: (فواصل آياتها «شثه»)[٣]، يعنى: الشين، والثاء، والهاء، فالشين في قوله: «المنفوش»، والثاء في «المبثوث»، والهاء في «فأمه هاويه، ونار حاميه»، وهذه الفواصل تتوافق في الحرف الأخير، وهو واضح في السورة الكريمة[٤].

إن الفواصل في هذه السورة تقتضي أن يكون كل تعبير في مكانه، ففي سورة القارعة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾، فناسبت كلمة «المنفوش» كلمة «المبثوث».

(١) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن: ٢٠٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٣٣٢/٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٩/١.

(٤) ينظر: صفوة التفاسير: ٥٩٠/٣.

الرابع: السجع المرصع

وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية، كقول الحريري: (هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه)[١]. كأنه الذهب السبيك أو الدر والياقوت في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾، وهو من المحسنات البديعية.

الخامس: الاحتباك:

وهو حذف من كل ما أثبت مقابله في الآخر فما ذكر في كل محل قرينة معينة للمحذوف من المحل الآخر[٢]، ففي السور أن يحذف من موازينه ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ حذف من الأول (فأمه الجنة) وذكر فيها (عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) وحذف من الآية الثانية (فهو في عيشة ساخطة)، وذكر (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) فحذف من كلٍ نظير ما أثبته في الآخر، وهو من المحسنات البديعية[٣].

(١) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٣٣٠، وري الضمآن في بيان القرآن: ١٠٠.
(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٧٤/٣.
(٣) صفوة التفاسير: ٥٦٨/٣.

السادس: المقابلة

هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب(١)، والمقابلة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، ثم قابلها بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾، وهو من المحسنات البديعية.

السابع: التشبيه المرسل المجمل:

وهو ما ذكر فيه أداة الشبه، وحذف منه وجه الشبه(٢). في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾، فالْمَبْثُوثِ المنتشر المتفرق، وهو مثل في الحيرة والجهل بالعاقبة. وهو تشبيه رائع، حيث شبهوا في الكثرة والانتشار، والضعف والذلة، والمجيء والذهاب على غير نظام، والتطاير إلى الداعي من كل جهة، حين يدعوهم إلى المحشر، بالفراش المتفرق المتطاير، حيث شبه الجبال بالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف، في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو، حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾(٣).

الثامن: الاستعارة

عرفها الدكتور أحمد مطلوب بأنها: (مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه)(٤).

(١) ينظر: ري الظمآن: ٨٦.

(٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢٤٢.

(٣) سورة النمل: الآية ٨٨. وينظر: الجدول في إعراب القرآن: ٣٠/٣٩٣.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١/١٣٦.

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾، ففي هذه الآية الكريمة استعارة، وهاوية هنا من أسماء النار، كأنها تهوي بأهلها إلى قعرها وإنّما جعلت أمّه لضمّها له واشتمالها عليه ويشبه ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[١]، وقد فسّر ذلك سبحانه بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾، وقال بعضهم: بل سميت هاوية لهويّ المعذّبين في قعرها، فكان ظاهر الفعل لها وحقيقته لغيرها، كما قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، فالمراد مرضيّة ونظائر ذلك كثيرة وقال بعضهم: إنّما خرج ذلك على مخرج كلام العرب؛ لأنهم يقولون للواقع في المكروه، والمرتكس في الأمر: هوت أمّ فلان، ويقولون: ويل أم فلان، ويعنون: هوت أي سقطت في مهواة، وهو مثل قولهم ظلّت وهلكت؛ لأنّ هلاك ولدها كهلاكها.

التاسع: التوسع والتفصيل في ذكر القارعة

حسّن ذِكر الزيادةِ والتفصيل فيها، بخلاف الإجمال الوارد في سورة المعارج، فإنه لم يزد على أن يقول: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٢].

العاشر: إلحاق هاء السكت في قوله: ﴿مَاهِيَهْ﴾

في هذه السورة، فهذه الهاء عدلت مقاطع الفواصل في هذه السورة، وكان للحاقها في هذا الموضع تأثير عظيم في الفصاحة، وأصلها: ما هي، أدخل الهاء فيها للوقف والاستراحة ثمّ فسّرها فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾، أي حارّةٌ قد انتهى حرّها[٣].

(١) سورة الحديد: الآية ١٥.
(٢) سورة المعارج: الآية ٤.
(٣) تفسير البغوي: ٥١١/٨.

المبحث الثاني:

دلالات الألفاظ
وأسرار البيان القرآني في السورة الكريمة

المطلب الأول:

التهويل والتشويق في الاستعمال القرآني

في قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾[١]

أولاً: الدلالة اللغوية للقارعة

القرع: ضرب شيء على شيء، ومنه قرعته بالمقرعة[٢]، وهي النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم، وفي حديث أبي أمامة: (من لم يغز أو لم يجهز غازيا أصابه الله بقارعة)[٣]، أي بداهية تهلكه[٤]، قال ابن فارس: (القاف والراء والعين معظم الباب ضرب الشيء، يقال قرعت الشيء أقرعه: ضربته، ومقارعة الأبطال: قرع بعضهم بعضاً)[٥]. وقال ابن منظور: يقال: قرعه أمرٌ إذا أتاه فجأةً، وقال الأصمعي: يقال أصابته قارعةٌ يعني أمراً عظيماً يقرعه[٦].

(١) سورة القارعة: الآيات ١-٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن تحقيق كيلاني: ٤٠١/١.

(٣) الحديث رواه أبو داود في سننه: ١٣/٢.

(٤) ينظر: لسان العرب : ٢٦٥/٨، (مادة: قرع).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة:٧٢/٥، والمفردات في غريب القرآن: ٦٦٦.

(٦) لسان العرب: ٢٦٥/٨، (مادة : قرع).

والقارعة هي: المصيبة التي تقرع بشدة، وأصل القرع: ملاقاة الشيء اليابس لمثله[١]، وهي اسم من أسماء القيامة[٢].

قال الماوردي: (أما «القارعة» ففيها قولان: أحدهما: أنها قرعت بصوت كالصيحة، وبضرب كالعذاب. والثاني: أن القارعة هي القيامة كالحاقة)[٣].

وقال أبو السعود: (القرع هو الضرب بشدةٍ واعتمادٍ بحيث يحصل منه صوتٌ شديدٌ، وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق)[٤]. وقال القرطبي: (تقول العرب: قرّعتهم القارعة وفقّرتهم الفاقرة، إذا وقع بهم أمرٌ فظيعٌ)[٥]. والقارعة توحي بالقرع واللطم، فهي تقرع القلوب بهولها[٦].

ومما تقدم يتبين لنا أن القرآن الكريم قد استعمل مادة «القارعة» بمعناها اللغوي الحقيقي الأصلي في السياق الأول عند وصف المصيبة، ثم استعملها بالمعنى المجازي الذى طرأ عليها في تطورها اللغوي –ما يحصل للنفوس من الرعب والفزع– في السياق الثاني عند وصف حال الشدة والخوف البالغ من هول العذاب.

ونخلص من ذلك بنتيجتين:

الأولى: أن يوم القيامة وما فيه من أهوال أمور حقيقية واقعة، وأن الألفاظ المستعملة في ذلك واردة بمعناها الحقيقي، ولا داعى لتأويلها أو حملها على المجاز.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٦٦.
(٢) ينظر: لطائف الإشارات (تفسير القشيري): ٣/٧٦٠.
(٣) تفسير الماوردي: ٦/٧.
(٤) تفسير أبي السعود: ٩/١٩٤.
(٥) تفسير القرطبي: ٢٠/١٦٤.
(٦) في ظلال القرآن: ٦/٣٩٦٠.

الثانية: أن القرآن الكريم قد نهض بخصائص اللغة العربية ومميزاتها ولم يَفسِرْها وقتاً من الأوقات على أن تسير في غير الخط الذى كانت تسير فيه(١)، فاستعمل مادة «قرع» في معناها الحقيقي، وفى معناها المجازي، وجاء كل من الاستعمالين في الموضع اللائق به، المناسب له، فاستعمل المعنى الحقيقي في وصف المصيبة، واستعمل المعنى المجازي في وصف هول يوم القيامة في الآخرة، وفرق كبير بين اليومين. فناسب المعنى اللغوي المعنى الاصطلاحي من حيث أن معنى القارعة هي الأمر العظيم الذي يحصل بشدة واعتماد، فتكون كالمصيبة في وقوعها.

ثانياً: الافتتاح بلفظ القارعة:

الافتتاح بلفظ القارعة افتتاح مهول، وفيه تشويق إلى معرفة ما سيخبر به.. فالسورة كلها عن هذه القارعة، حقيقتها.. وما يقع فيها.. وما تنتهي إليه.. فهي تعرض مشهداً من مشاهد القيامة.

المشهد المعروض:

المشهد المعروض هنا مشهد هول تتناول آثاره الناس والجبال، فيبدو الناس في ظله صغاراً ضئالاً على كثرتهم... فهم ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ مستطارون مستخفون في حيرة الفراش الذي يتهافت على الهلاك، وهو لا يملك لنفسه وجهة، ولا يعرف له هدفا! وتبدو الجبال التي كانت ثابتة راسخة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح وتعبث به حتى الأنسام، فمن تناسق التصوير أن تسمى القيامة بالقارعة، فيتسق الظل الذي يلقيه اللفظ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها، مع آثار القارعة في الناس والجبال سواء، وتلقي إيحاءها للقلب والمشاعر، تمهيداً لما ينتهي إليه المشهد من حساب وجزاء ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

(١) ينظر: نهوض القرآن الكريم بخصائص اللغة العربية التعبيرية: ٩.

لقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ بلا خبر ولا صفة، لتلقي بظلها وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب! ثم أعقبها سؤال التهويل: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ .. فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش والتساؤل!، يقول الإمام الرازي: القرع الضرب بشدة واعتماد، ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾(١)، ومنه قولهم: العبد يقرع بالعصا، ومنه المقرعة وقوارع القرآن وقرع الباب، وتقارعوا تضاربوا بالسيوف، واتفقوا على أن القارعة اسم من أسماء القيامة، واختلفوا في لمية هذه التسمية على وجوه:

أحدها: أن سبب ذلك هو الصيحة التي تموت منها الخلائق؛ لأن في الصيحة الأولى تذهب العقول، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٢)، وفي الثانية تموت الخلائق سوى إسرافيل، ثم يميته الله ثم يحييه، فينفخ الثالثة فيقومون.

وروي أن الصور له ثقب على عدد الأموات لكل واحد ثقبة معلومة، فيحيي الله كل جسد بتلك النفخة الواصلة إليه من تلك الثقبة المعينة، والذي يؤكد هذا الوجه قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾(٤).

وثانيها: أن الأجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكاً شديداً عند تخريب العالم، فبسبب تلك القرعة سمي يوم القيامة بالقارعة.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣١.

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٨.

(٣) سورة يس، الآية ٤٩.

(٤) سورة الصافات، الآية ١٩.

وثالثها: أن القارعة هي التي تقرع الناس بالأهوال والإفزاع، وذلك في السموات بالانشقاق والانفطار، وفي الشمس والقمر بالتكور، وفي الكواكب بالانتثار، وفي الجبال بالدك والنسف، وفي الأرض بالطي والتبديل، وهو قول الكلبي.

ورابعها: أنها تقرع أعداء الله بالعذاب والخزي والنكال، وهو قول مقاتل، قال بعض المحققين: وهذا أولى من قول الكلبي لقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾(١).

ثالثاً: إعراب القارعة ما القارعة

«القارعة» ابتداء، و«ما» ابتداء ثان بمعنى الاستفهام الذي معناه التعظيم والتعجب والقارعة الثانية خبر المبتدأ الثان، وجملة المبتدأ والخبر خبر للمبتدأ الأول(٢).

أما قراءة النصب ففيها وجوه:

أحدها: أنه تحذير، وقد جاء التحذير بالرفع والنصب تقول: الأسد الأسد، فيجوز الرفع والنصب.

وثانيها: وفيه إضمار أي ستأتيكم القارعة(٣). يقول الإمام الرازي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: إذا أخبرت عن شيء بشيء فلا بد وأن تستفيد منه علما زائداً، وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ يفيد كونه جاهلا به فكيف يعقل أن يكون هذا خبراً؟ قلنا: قد حصل لنا بهذا الخبر علم زائد؛ لأنا كنا نظن أنها قارعة كسائر القوارع، فبهذا التجهيل علمنا أنها قارعة فاقت القوارع في الهول والشدة(٤).

---

(١) سورة الزمر: الآية ٨٩. تفسير الرازي: ٢٦٥/٣٢، وينظر: الكشاف: ٦٠٢/٤.

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٧٣٥/٢.

(٣) ينظر: تفسير الرازي :٣٢/ ٢٦٥.

(٤) تفسير الرازي: ٣٢/ ٢٦٦، والبحر المحيط في التفسير:١٠/ ٥٣٢.

وفيه وجوه أحدها: معناه لا علم لك بكنهها، لأنها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم أحد ولا فهمه، وكيفما قدرته فهو أعظم من تقديرك كأنه تعالى قال: قوارع الدنيا في جنب تلك القارعة كأنها ليست بقوارع، ونار الدنيا في جنب نار الآخرة كأنها ليست بنار، ولذلك قال في آخر السورة: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ تنبيها على أن نار الدنيا في جنب تلك ليست بحامية، وصار آخر السورة مطابقا لأولها من هذا الوجه.

فإن قيل: هاهنا قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، وقال في آخر السورة: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ ولم يقل: وما أدراك ما هاوية فما الفرق؟ قلنا: الفرق أن كونها قارعة أمر محسوس، أما كونها هاوية فليس كذلك، فظهر الفرق بين الموضعين.

وثانيها: أن ذلك التفصيل لا سبيل لأحد إلى العلم به إلا بإخبار الله وبيانه؛ لأنه بحث عن وقوع الوقعات لا عن وجوب الواجبات، فلا يكون إلى معرفته دليل إلا بالسمع(١).

رابعاً: الفرق بين استعمال صيغة الماضي والمضارع

استخدام كل أسلوب في القرآن الكريم له معنى محدد وله وضعه الخاص به، فكل شيء في القرآن الكريم ورد بصيغة الماضي كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾(٢) فقد أخبر به النبي ﷺ، وكل شيء في القرآن ورد بصيغة المضارع كقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾(٣)

(١) تفسير الرازي :٣٢/ ٢٦٦، والبحر المحيط في التفسير:١٠/ ٥٣٢.

(٢) ورد استعمال صيغة الفعل الماضي (وما أدراك) ١٤ مرة في القرآن الكريم. ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) وردت في القرآن ثلاث مرات: الأحزاب (٦٣)، والشورى (١٧)، وعبس (٣). ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٥٧.

فما لم يخبر به، فقد ورد في الأحزاب: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[١]، وقال في هذه السورة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، ثم أخبر عنها فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾، يقول: إذا خرجوا من قبورهم تجول بعضهم في بعض، فشبههم بالفراش المبثوث، وشبههم في الكثرة بالجراد المنتشر[٢]، قال يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء في القرآن فيه ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فقد أدراه إياه وعلّمه إياه، وكل شيء قال فيه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فهو ما لم يعلمه إياه، وفيه وجهان:

أحدهما: وما أدراك ما هذا الاسم، لأنه لم يكن في كلامه ولا كلام قومه، قاله الأصم. **الثاني:** وما أدراك ما يكون في الحاقة[٣].

فيكون المراد أن مفعول ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ محقق الوقوع؛ لأن الاستفهام فيه للتهويل، وأن مفعول ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ غير محقق الوقوع؛ لأن الاستفهام فيه للإنكار المجرَّد، وهو في معنى نفي الدراية، وقال الراغب الأصفهاني: (كل موضع ذُكر في القرآن ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾؟ فقد عُقِّب ببيانه؛ نحو: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٤]، وكل موضع ذكر فيه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ لم يُعقِّبْه بذلك؛ نحو: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾[٥]، و﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[٦].

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٣.
(٢) ينظر: تفسير مقاتل:٤/٨٠٥، وتفسير التستري: ١/٢٠٣.
(٣) تفسير الماوردي: ٦/٧.
(٤) سورة القدر: الآيتان ٢-٣.
(٥) سورة عبس: الآية ٣.
(٦) سورة الشورى: الآية ١٧. وينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: ١١٩.

وأيضا فإن استعمال صيغة الماضي لها معان أخرى، وهذا ما أشارت إليه د. عائشة بنت الشاطئ بقولها: (وأما الخاصية البيانية لهذا الأسلوب ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ استعماله فيما يجاوز المسئول إما لجلال الأمر وعظمته كآيتي: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾[١]، والعقبة ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾[٢]، وأما لكونه من الغيب المتعلق بالمصير في اليوم الآخر يتجاوز دراية البشر ويعييهم إدراكه وتمثله كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾)[٣].

خامساً: قوة العبارة:

قال المحققون قوله: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ أشد من قوله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾[٤]؛ لأن النازل آخرا لا بد وأن يكون أبلغ؛ لأن المقصود منه زيادة التنبيه، وهذه الزيادة لا تحصل إلا إذا كانت أقوى، وأما بالنظر إلى المعنى، فالحاقة أشد لكونه راجعا إلى معنى العدل، والقارعة أشد لما أنها تهجم على القلوب بالأمر الهائل[٥].

فالقارعة شيء عظيم هي، وهذا يجري على أن الآية الأولى تنتهي بقوله: ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾، وإمّا أن تكون القارعة الأولُ مستقلاً بنفسه، وعُدّ آية عند أهل الكوفة فيقدر خبرٌ عنه محذوف نحو: القارعة قريبة، أو يقدر فعل محذوف نحو أتتْ القارعة،

(١) سورة القدر: الآية ٢.
(٢) سورة البلد: الآية ١٢.
(٣) التفسير البياني بنت الشاطئ: ١٧٦/١.
(٤) سورة الحاقة: الآيتان ١-٢.
(٥) تفسير الرازي: ٢٦٦/٣٢، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٢/١٠.

ويكون قوله: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ استئنافاً للتهويل، وجُعل آية ثانية عند أهل الكوفة، وعليه فالسورة مكونة من ثلاث فواصل في أولها وثلاث في آخرها وفاصلتين وسطها(١).

سادساً: التكرار في لفظ القارعة

وإعادة لفظ القارعة إظهار في مقام الإِضمار عدل عَنْ أن يقال: «القارعة ماهِيهْ»، لما في لفظ القارعة من التهويل والترويع، وإعادة لفظ المبتدأ أغنت عن الضمير الرابط بين المبتدأ وجملة الخبر.

والقارعة: وصف من القرع وهو ضرب جسم بآخر بشدة لها صوت، وأطلق القرع مجازاً على الصوت الذي يتأثر به السامع تأثُّر خوف أو اتعاظ، يقال: قَرع فُلاناً، أي زجره وعَنَّفه بصوت غضب، وفي المقامة الأولى: ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

وأطلقت القارعة على الحدث العظيم وإن لم يكن من الأصوات كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾(٢)، وقيل: تقول العرب: قرعت القوم قارعة، إذا نزل بهم أمر فظيع ولم أقف عليه فيما رأيت من كلام العرب قبل القرآن.

سابعاً: تأنيث القارعة:

وتأنيث القارعة لتأويلها بالحادثة أو الكائنة وما استفهامية، والاستفهام مستعمل في التهويل على طريقة المجاز المرسل المركب؛ لأن هول الشيء يستلزم تساؤل الناس عنه، والاستفهام فيه معنى الاستعظام والتعجب وهو مبتدأ، والقارعة خبره(٣).

فالقارعة هنا مراد بها حادثة عظيمة، وجمهور المفسرين على أن هذه الحادثة هي الحشر فجعلوا القارعة من أسماء يوم الحشر مثل القيامة، وقيل: أريد بها صيحة

(١) التحرير والتنوير – الطبعة التونسية: ٣٠/٥١٠.

(٢) سورة الرعد، الآية ٣١.

(٣) ينظر: تفسير النسفي: ٣/٦٧٣، والبحر المحيط: ١٠/٥٣٢.

النفخة في الصُّور، وعن الضحاك: القارعة النار ذات الزفير، كأنه يريد أنها اسم جهنم(١).

ثامناً: قصر المد:

قصر المد في قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ فيأتي القصر لزيادة المعنى كما يأتي المد ليزيد المعنى أيضا بحسب الاستعمال القرآني، فحينما نقارن المدّ في كلمة ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ بعدم وجوده في كلمة قرآنية أخرى قريبة في المعنى وهي ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ نجد أن عدم وجود المد في القارعة مطلوب بشدة لتحقيق معناها وهو أنها «تقرع» آذان الناس وهو شيء لا يستلزم زمناً فهو لحظي ليدل على الفجاءة، فلا يحتاج مدّاً أو مدة(٢).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٦٨/٣٢.

(٢) ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم: ٤٣.

المطلب الثاني:

بيان حال الناس يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[١]

أولاً: الدلالة اللغوية لقوله: المبثوث

أصل البثّ: التفريق، وإثارة الشيء كبث الريح التراب، وبثّ النفس ما انطوت عليه من الغمّ والسّر، يقال: بثثته فانبثّ، ومنه قوله عزّ وجل: فكانت هباءً منبثًّا[٢]، فالمبثوث: المهيّج بعد ركونه وخفائه[٣]، وقال العيني في بيان معنى المبثوث: المتفرق[٤].

وقال الثعلبي: الفراش المبثوث وهي الطير التي تتساقط في النار[٥]، فيكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار[٦].

فهم مستطارون مستخفون في حيرة الفراش الذي يتهافت على الهلاك، وهو لا يملك لنفسه وجهة، ولا يعرف له هدفا، فالناس كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول[٧].

---

(١) سورة القارعة: الآيتان ٤-٥.

(٢) ينظر: المفردات للراغب: ١٠٨.

(٣) المفردات : ١٠٨.

(٤) ينظر: عمد القاري شرح صحيح البخاري: ٣١٣/١٩.

(٥) تفسير الثعلبي: ٢٧٤/١٠.

(٦) تفسير أبي السعود: ١٩٤/٩.

(٧) ينظر: تفسير السعدي: ٩٣٣.

ثانياً: الدلالة اللغوية لقوله: ﴿ٱلۡمَنفُوشِ﴾

النفش هو النشر، قال الراغب الأصفهاني: النّفش نشر الصّوف، ونفش الغنم: انتشارها، والنّفش بالفتح: الغنم المنتشرة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾[١] والإبل النّوافش: المتردّدة ليلا في المرعى بلا راعٍ[٢]، فقد شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار.

وفي أمثالهم: أضعف من فراشة وأذل وأجهل، وسمى فراشا: لتفرّشه وانتشاره. وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألواناً؛ لأنها ألوان، وبالمنفوش منه؛ لتفرّق أجزائها[٣] .

وأما الجبال الصم الصلاب، فتكون ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ أي: كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفًا جدًا، تطير به أدنى ريح[٤].

ثالثاً: التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾

هذا التشبيه تمثيلي لأنه تشبيه هيئة خروج الناس من القبور متراكمين بهيئة خروج الجراد متعاظلاً يسير غير ساكن[٥]، واعلم أنه تعالى وصف ذلك اليوم بأمرين:

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٨.
(٢) المفردات: ٨١٩/١.
(٣) الكشاف: ٧٩٦/٤.
(٤) ينظر: تفسير السعدي: ٩٣٣.
(٥) التحرير والتنوير – الطبعة التونسية: ٥١٠/٣٠.

الأول: كون الناس فيه كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ، قال الزجاج :الفراش هو الحيوان الذي يتهافت في النار، وسمي فراشاً لتفرشه وانتشاره ثم إنه تعالى شبه الخلق وقت البعث ههنا بالفراش المبثوث وفي آية أخرى بالجراد المنتشر، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي)[١].

رابعاً: وجه التشبيه بالفراش والجراد

أما وجه التشبيه بالفراش فلأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى؛ يدل هذا على أنهم إذا بعثوا فزعوا واختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة، والمبثوث المفرق يقال بثه إذا فرقه.

وأما وجه التشبيه بالجراد فهو في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار وسمي فراشاً لتفرشه وانتشاره. قال الفراء: كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً[٢].

وبالجملة فالله سبحانه وتعالى شبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر وبالفراش المبثوث؛ لأنهم لما بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش ...

خامساً: تشبيه الشيء الواحد بالصغير والكبير

فإن قيل الجراد بالنسبة إلى الفراش كبار فكيف شبه الشيء الواحد بالصغير والكبير معاً قلنا: شبه الواحد بالصغير والكبير لكن في وصفين أما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحدة إلى غير جهة الأخرى وأما بالجراد فبالكثرة والتتابع، ويحتمل أن

(١) الحديث رواه مسلم: ٦٤/٧ كتاب فضائل النبي ﷺ، باب بيان مثله ﷺ ومثل أمته.
(٢) تفسير القرطبي: ١٦٥/٢٠.

يقال: إنها تكون كباراً أولاً كالجراد ثم تصير صغاراً كالفراش بسبب احتراقهم بحر الشمس، وذكروا في التشبيه بالفراش وجوهاً أخرى:

أحدها: ما روى أنه عليه السلام قال: (الناس عالم ومتعلم وسائر الناس همج رعاع)(١)، فجعلهم الله في الأخرى كذلك جَزَاء وِفَاقاً.

وثانيها: أنه تعالى إنما أدخل حرف التشبيه فقال كَالْفَرَاشِ؛ لأنهم يكونون في ذلك اليوم أذل من الفراش؛ لأن الفراش لا يعذب وهؤلاء يعذبون، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٢).

الصفة الثانية من صفات ذلك اليوم قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾، العهن: الصوف ذو الألوان، والنفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض وفي قراءة ابن مسعود: كالصوف المنفوش(٣) .

واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال مختلفة الألوان على ما قال: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾(٤)، ثم إنه سبحانه يفرق أجزاءها ويزيل التأليف والتركيب عنها فيصير ذلك مشابهاً للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشاً وههنا مسائل(٥):

المسألة الأولى: إنما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال كأنه تعالى نبه على أن تأثير تلك القرعة في الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش فكيف

(١) الحديث رواه الدارمي في سننه: باب فضل العلم والعالم: ٣٥١/١.
(٢) مفاتيح الغيب: ٦٨/٣٢.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٦٨/٣٢.
(٤) سورة فاطر: الآية ٢٧.
(٥) مفاتيح الغيب: ٦٨/٣٢.

يكون حال الإنسان عند سماعها، فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربه، ويحتمل أن يكون المراد أن جبال النار تصير كالعهن المنفوش لشدة حمرتها(١).

المسألة الثانية: قد وصف الله تعالى تغير الأحوال على الجبال من وجوه: أولها أن تصير قطعاً كما قال: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾(٢)، وثانيها أن تصير كثيباً مهيلاً، كما قال: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾(٣)، ثم تصير كالعهن المنفوش وهي أجزاء كالذر تدخل من كوة البيت لا تمسها الأيدي، ثم قال في الرابع: تصير سراباً، كما قال: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾(٤).

المسألة الثالثة: لم يقل: يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش، بل قال: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾؛ لأن التكوير في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير، فإن الفراش وهو فراخ الجراد تنشأ من البَيْض مثل الدود ثم لا تلبث إلا قليلاً حتى تصير جراداً وتطير، ولهذا سمى الله ذلك البعث نَشْأة؛ لأن فيه إنشاء جديداً وخلقاً معاداً وهو تصوير تلك الأجزاء(٥).

سادساً: إضافة النفش إلى العهن في الآية وحذفه في موضع آخر

فإن قيل: لِمَ قال في سورة القارعة: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ فزاد كلمة «المنفوش» في سورة القارعة على ما في المعارج في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ

(١) مفاتيح الغيب: ٦٨/٣٢.
(٢) سورة الفجر: الآية ٢١.
(٣) سورة النمل: الآية ٨٨.
(٤) سورة النبأ: الآية ٢٠.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير:١٤١/٢٢.

﴿ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾[١]، وتكون الجبال كالعهن؟ فقد أبدع الدكتور فاضل السامرائي في بيان سبب ذلك وأرجعه إلى:

١- أنه لما ذكر القارعة في أول السورة، والقارعة من القَرْع، وهو الضربُ بالعصا، ناسبَ ذلك ذكر النفش؛ لأن من طرائق نفش الصوف أن يُقْرعَ بالمقرعة. كما ناسب ذلك من ناحية أخرى وهي أن الجبال تُهَشَّمُ بالمقراع «وهو من القرع»، وهو فأسٌ عظيم تُحَطَّمُ به الحجارة، فناسب ذلك ذكر النفش أيضاً، فلفظ القارعة أنسب شيء لهذا التعبير، كما ناسب ذكر القارعة ذكر «الفراش المبثوث» في قوله: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾، أيضاً لأنك إذا قرعت طار الفراش وانتشر، ولم يحسن ذكر «الفراش» وحده كما لم يحسن ذكر «العهن» وحده.

إن ما تقدم من ذِكْرِ اليومِ الآخر في سورة القارعة، أهول وأشد مما ذكر في سورة المعارج فقد قال في سورة المعارج: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾[٢]، وليس متفقاً على تفسير أن المراد بهذا اليوم، هو اليوم الآخر، وإذا كان المقصود به اليوم الآخر فإنه لم يذكر إلا طول ذلك اليوم، وأنه تعرج الملائكة والروح فيه، في حين قال في سورة القارعة: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ فكرر ذِكْرَها وعظمها وهولها، فناسب هذا التعظيم والتهويل أن

(١) سورة المعارج: الآية ٩.

(٢) سورة المعارج: الآيات ٤-٧.

يذكر أن الجبال تكون فيه كالعِهْنِ المنفوش وكونُها كالعهن المنفوش أعظم وأهول من أن تكون كالعهن من غير نفشٍ كما هو ظاهر(١).

٢- التوسع والتفصيل في ذكر القارعة حسّن ذِكْرَ الزيادةِ والتفصيل فيها، بخلاف الإجمال في سورة المعارج، فإنه لم يزد على أن يقول: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

٣- إن الفواصل في السورتين تقتضي أن يكون كل تعبير في مكانه، ففي سورة القارعة، قال تعالى: ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾، فناسبت كلمة «المنفوش» كلمة «المبثوث»، أما في سورة المعارج قال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾، فناسب «العهن» «المهل».

٤- ناسب ذكر العهن المنفوش أيضاً قوله في آخر السورة ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾؛ لأن النار الحامية هي التي تُذيبُ الجبالَ، وتجعلها كالعهن المنفوش، وذلك من شدة الحرارة، في حين ذكر صفة النار في المعارج بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾(٢)، والشَّوَى هو جلد الإنسان. والحرارةُ التي تستدعي نزع جلد الإنسان أقلُّ من التي تذيب الجبال وتجعلها كالعهن المنفوش، فناسب زيادة «المنفوش» في القارعة من كل ناحية(٣).

(١) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ١٩٨.

(٢) سورة المعارج: الآية ١٥-١٦.

(٣) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٢٠٠-٢٠١.

المطلب الثالث:

المجازاة على الأعمال خيرها وشرها قليلها وكثيرها وحضور مشاهد ذلك اليوم

في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[١]

أولا: الدلالة اللغوية لقوله: هاوية

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنّفس المائلة إلى الشّهوة، وقيل: سمّي بذلك لأنّه يهوي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، والهويّ: سقوط من علو إلى سفل، قال الفرّاء في قوله: فأمّه هاوية: قال بعضهم هذا دعاءٌ عليه كما تقول: هوت أمه على قول العرب[٢].

وقوله ﷻ: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ قيل: هو مثل قولهم: هوت أمّه أي: ثكلت، وقيل: معناه مقرّه النار، والهاوية: هي النار[٣]، والهاوية: اسمٌ من أسماء جهنّم، وهي معرفةٌ بغير ألف ولامٍ، وقوله عزّ وجلّ: فأمّه هاويةٌ؛ أي مسكنه جهنم ومستقرّه النّار.

وقال قتادةُ: (هِيَ كلمة عربيّة، كان الرَّجل إِذَا وقَع فِي أَمرٍ شَديدٍ، قالَ: هوت أُمهُ)[٤]. وقال الزمخشري: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة: هوت أمّه؛ لأنه إذا هوى أي: سقط وهلك، فقد هوت أمّه ثكلاً وحزناً[٥].

---

(١) سورة القارعة: الآيات ٥-١١.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٣٧٣/١٥، مادة هوى.

(٣) المفردات: ٨٤٩.

(٤) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٤.

(٥) ينظر: تفسير الكشاف: ٧٩٦/٤، وتفسير البغوي: ٥١١/٨.

وتعني أن مسكنه النّار، سمّي المسكن أمًّا لأنّ الأصل في السّكون إلى الأمّهات، والقارعة أيضا: الداهية(١).

وذهب ابن عاشور إلى أن قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ إخبار عنه بالشقاء وسوء الحال، فالأم هنا يجوز أن تكون مستعملة في حقيقتها، وهاوية: هالكة، والكلام تمثيل لحال من خفت موازينه يومئذ بحال الهالك في الدنيا؛ لأن العرب يكنون عن حال المرء بحال أمه في الخير والشر لشدة محبتها ابنها فهي أشد سرورا بسروره وأشد حزنا بما يحزنه(٢).

وقد فسّر الشنقيطي الهاوية بأنّها أسفل دركات النّار(٣).

ثانياً: الدلالة اللغوية لقوله: حَامِيَةٌ

الحمي: الحرارة المتولّدة من الجواهر المحمية، كالنّار والشمس، ومن القوّة الحارة في البدن، قال تعالى: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾(٤)، أي: حارة، وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾(٥)، وحمي النهار، وأحميت(٦).

قال الشوكاني: (﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي: قد انتهى حرّها وبلغ في الشّدّة إلى الغاية)(٧).

(١) غريب القرآن للسجستاني: ٣٨٠.
(٢) تفسير ابن عاشور: ٥١٤/٣٠، وينظر: تفسير الواحدي: ٥٤٦/٤.
(٣) الشنقيطي: ٧٤/٩.
(٤) سورة الكهف: الآية ٨٦.
(٥) سورة التوبة: الآية ٣١.
(٦) المفردات: ٢٥٨.
(٧) فتح القدير: ٥٩٥/٥.

والمشهد المعروض هنا مشهد هول تتناول آثاره الناس والجبال، فيبدو الناس في ظله صغارا ضئالا على كثرتهم: فهم ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ مستطارون مستخفون في حيرة الفراش الذي يتهافت على الهلاك، وهو لا يملك لنفسه وجهة، ولا يعرف له هدفا! وتبدو الجبال التي كانت ثابتة راسخة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح وتعبث به حتى الأنسام! فمن تناسق التصوير أن تسمى القيامة بالقارعة، فيتسق الظل الذي يلقيه اللفظ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها، مع آثار القارعة في الناس والجبال سواء! وتلقي إيحاءها للقلب والمشاعر، تمهيدا لما ينتهي إليه المشهد من حساب وجزاء! ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾(١).

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ ولو قيل: يوم تحمى، لم يعط هذا المعنى. فإن قلت: فإذا كان الإحماء للنار، فلم ذكر الفعل؟ قلت: لأنه مسند إلى الجار والمجرور، أصله: يوم تحمى النار عليها، فلما حذفت النار قيل: يحمى عليها، لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها ، كما تقول: رفعت القصة إلى الأمير، فإن لم تذكر القصة قلت: رفع إلى الأمير(٢).

(١) في ظلال القرآن: ٦/٣٩٦٠.
(٢) الكشاف: ٢/٢٥٦.

ثالثاً: ثقل الموازين

المراد بثقل الموازين هنا هو اعتبار الأعمال، وإقامة وزن لها، حتى إذا وزنت كان لها رجحان على غيرها من الأعمال التي لا قدر لها ولا وزن، كما يقول سبحانه وتعالى عن أعمال الكافرين: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[١]؛ لأن أعمالهم لا قيمة لها ولا قدر..؛ لأنها لم تقم في ظل الإيمان بالله.

فأصحاب الأعمال الحسنة التي رجحت بها موازينهم وارتفعت بها أقدارهم على الناس يومئذ، هم في عيشة راضية، حيث ينعمون في جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين... وفى وصف المعيشة بأنها راضية، مع أن الرضا إنما يكون لمن يعيشون فيها في هذا إشارة إلى أنها راضية في ذاتها، بحيث تبدو وكأنها كائن حي قد اجتمع له كل ما يرضيه... فهذه المعيشة قد اجتمع لها كل أسباب الرضوان لجميع الناس على اختلاف مطالبهم..[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ وهؤلاء هم الكافرون الذين حبطت أعمالهم، فلم يكن لهم ولا لأعمالهم وزن هؤلاء أمّهم. التي تضمهم إليهم، وتحنو عليهم، هي هاوية، حيث تهوى بأصحابها إلى قرار الجحيم... إنها نار حامية، تأكل أهلها كما تأكل النار الحطب.

(١) سورة الكهف، الآية ١٠٥.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: ١٦٦٢/١٦.

وفى جميع الموازين، إشارة إلى أن كل عمل من أعمال الإنسان له ميزانه الذي يوزن به، حسب قدره، وقيمته.

رابعاً: طبيعة الميزان وماهيته

أما الميزان الذي توزن به الأعمال، فهذا مما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه، ولا ينبغي لنا أن نتكلف له تصورا، وحسبنا أن نؤمن بأن هناك ميزانا توزن به الأعمال، وتتبين به قيمة كل عمل، صغر أو كبر.. أما هيئة هذا الميزان وكيفيته، وكيف توزن الأعمال به- فهذا مما يتولاه الله عنا، ولا شأن لنا به.. إنه سبحانه يحاسب، ويقضى، ويحكم، وهو أحكم الحاكمين(١).

خامساً: ثقل الموازين وخفتها

وثقل الموازين وخفتها تفيدنا: قيما لها عند الله اعتبار، وقيما ليس لها عنده اعتبار، وهذا ما يلقيه التعبير بجملته، وهذا -والله أعلم- ما يريده الله بكلماته، فالدخول في جدل عقلي ولفظي حول هذه التعبيرات هو جفاء للحس القرآني، وعبث ينشئه الفراغ من الاهتمام الحقيقي بالقرآن والإسلام! ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ في اعتبار الله وتقويمه ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ... ويدعها مجملة بلا تفصيل، توقع في الحس ظلال الرضى وهو أروح النعيم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ في اعتبار الله وتقويمه ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ ... والأم هي مرجع الطفل وملاذه، فمرجع القوم وملاذهم يومئذ هو الهاوية! وفي التعبير

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٩٦١/٦.

أناقة ظاهرة، وتنسيق خاص، وفيه كذلك غموض يمهد لإيضاح بعده يزيد في عمق الأثر المقصود: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠﴾.

سادساً: استخدام أسلوب التجهيل والتهويل

فسؤال التجهيل والتهويل المعهود في القرآن، لإخراج الأمر عن حدود التصور وحيز الإدراك! ثم يجيء الجواب كنبرة الختام: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾.

فوضع الاسم الظاهر موضع المضمَر تفخيمًا لشأنها، وتفظيعًا لهولها ونحو ذلك قولك: زيد، ما زيد؟ كأنه شيء خَفِيَ عليك جنسه، فأنت تسأل عن جنسه، وتفحص عن جوهره.

هذه هي أم الذي خفت موازينه! أمه التي يفيء إليها ويأوي! والأم عندها الأمن والراحة، فماذا هو واجد عند أمه هذه؟ الهاوية.. النار.. الحامية!! إنها مفاجأة تعبيرية تمثل الحقيقة القاسية!.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بذكره الصالحات، المتفضل بالتمام، والصلاة والسلام على من جاء بالدين التمام، وعلى آله وأصحابه الكرام، ما لاح برق في غمام وثمر من كمام.. وبعد:

فإنه لا توفيق بعد توفيق الله تعالى، ولا تيسير بعد تيسيره، فقد أنعم الله تعالى علينا بإتمام بحثنا هذا، وبعد قضاء هذه المدة في ثنايا البحث نستطيع أن نسجل مجموعة من النتائج نجملها بما يأتي:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء والنشور والحساب ثم المآل إلى الجنة أو النار وهي بعض مشاهد اليوم الآخر وأحداثه وهو أحد أركان الإيمان التي لا يقبل إيمان المسلم بدونها.

٢- تقرير ظاهرة الانقلاب الكوني الذي تتبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات غير السموات، فتحدث القارعة، وتتغير أحوال الناس والأرض.

٣- تغير أحوال الجمادات من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته، وهي موجبات ألوهيته وحده دون سواه.

٤- كل من يعمل في الدنيا عملا خيرا صغيرا أو كبيرا يجازى به يوم القيامة، وكل من يعمل في الدنيا عملا شرا مهما كان قليلا يجازى به، فمن ثقلت موازينه، انقلب حاله إلى عيشة راضية، ومن خفت موازينه فهو في نار الجحيم.

٥- التهديد والوعيد للعاصين لله تعالى، جزاء بما أسرفوا على انفسهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثبت المصادر والمراجع

* بعد القرآن الكريم

١. **الإتقان في علوم القرآن**، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، السعودية.
٢. **أسرار ترتيب القرآن**، السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة.
٣. **الإشارات في علم العبارات**، خليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٣هـ)، دار الفكر، بيروت.
٤. **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم**، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود.
٥. **إعراب القراءات الشواذ**، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، مكتبة عالم الكتب، ط١، ١٩٩٦م.
٦. **إعراب ثلاثين سورة**، ابن خالويه الحسين بن أحمد، دار الحكمة ، دمشق.
٧. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.
٨. **البرهان في تناسب سور القرآن**، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

٩. **البرهان في علوم القرآن**، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٦٣٤هـ)، ط١٠، دار التراث.
١٠. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
١١. **البيان في عد أي القرآن**، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت.
١٢. **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء العكبري.
١٣. **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن**، للشيخ طاهر الجزائري، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
١٤. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
١٥. **ترتيب الأمالي الخميسية**، يحيى بن الحسين بن إسماعيل الشجري الجرجاني (ت ٤٩٩هـ)، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد العبشمي (ت٦١٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

١٦. **التفسير البياني للقرآن الكريم**، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط٧.
١٧. **تفسير التستري**، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٨. **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٩. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
٢٠. **تفسير حدائق الروح والريحان**، محمد الأمين الهرري، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢١. **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٢. **التلخيص في القراءات الثمان**، عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري، تحقيق محمد حسن عقيل، نشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، ط١، ١٩٩٢م.
٢٣. **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٤. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٥. **التيسير في القراءات السبع**، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق أوتو برتزل، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٦. **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٧. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٨. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٢٩. **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.

٣٠. **جمال القراء وكمال الإقراء**، علي بن محمد علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة، د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق – بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٣١. **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
٣٢. **حديث عن القرآن**، د. عبد الصبور شاهين، ط١، كتاب اليوم.
٣٣. **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
٣٤. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ.
٣٥. **رشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٦. **ري الضمآن في بيان القرآن**، فهد بن عبد الله الحبيشي.
٣٧. **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٣٨. **شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر**، علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، بيروت.
٣٩. **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٠. **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، أبو الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤١. **عمد القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٢. **غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب**، محمد بن عُزير السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، سوريا، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٣. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

٤٤. **الفرائد الحسان في عد آي القرآن**، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت ١٤٠٣هـ)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٤٥. **فضائل القرآن**، أَبو العَبَّاسِ جَعفر بنُ مُحَمدِ بنُ المُعتَزِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ المُسْتَغْفِرِ المستغفِرِيُّ النَّسَفِيُّ (ت ٤٣٢هـ)، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٦. **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دار البشائر، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٤٧. **في ظلال القرآن**، سيد قطب (ت ١٩٦٦م)، ط٢٥، دار الشروق، القاهرة، سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤٨. **كتاب السبعة في القراءات**، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٤٩. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٥٠. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٥١. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٥٢. **لطائف الإشارات**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.

٥٣. **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، د. فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط٣، ٢٠٠٣م.

٥٤. **المبسوط في القراءات العشر**، أحمد بن الحسين بن مهران، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٧هـ.

٥٥. **مختصر في شواذ القرآن ابن خالويه**، نشر براجستراسر، طبع المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤م.

٥٦. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٥٧. **مسند البزار مسند البزار**، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١.

٥٨. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٩. **مشكل إعراب القرآن**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي الأندلسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٦٠. **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٦١. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦٢. **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، للدكتور احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٣. **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٦٤. **مفاتيح الغيب** «**التفسير الكبير**»، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٦٥. **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

٦٦. **المفصل في موضوعات سور القرآن**، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود.

٦٧. **المناسبات بين الآيات والسور، فوائدها .. وأنواعها.. وموقف العلماء منها**، د. سامي عطا حسن، جامعة آل البيت.

٦٨. **الناسخ والمنسوخ**، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر البغدادي المقري (ت ٤١٠هـ)، تحقيق: ازهر الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦٩. **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**، أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٧٠. **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

٧١. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٧٢. **النكت الوفية بما في شرح الألفية**، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٧٣. **النكت في القرآن الكريم**، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب القيرواني (ت ٤٧٩هـ)، تحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٧٤. **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٥. **نهوض القرآن الكريم بخصائص اللغة العربية التعبيرية**، د. حسن محمد باجودة، ط١، دار مكة للطباعة والنشر.